العرب لاسيما وطريق المراكب التي فيها الهدايا في البحر الذي في مملكة القسطنطينية وهي متوجهة اليه وليس في سواحل ذلك البحر الا رعاياه فلما جهز المركبين سافرا الى أن قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الارض وفيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فأخذوا جميع ما في المركبين من التحف والمال والذخائر والثلاث خرزات وقتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فأرسل اليهم عسكرا فهزموه فأرسل اليهم عسكرا أقوى من الاول فهزموه أيضا فعند ذلك اغتاظ الملك وأقسم أنه لا يخرج اليهم الا بنفسه في جميع عسكره وأنه لا يرجع عنهم حتى يخرب قيسارية ويترك أرضها وجميع البلاد التي يحكم عليها ملكها خرابا والمراد من صاحب القوة والسلطان الملك عمر النعمان أن يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد أرسل اليك ملكنا معنا شيأ من أنواع الهدايا ويرجو من انعامك قبولها والتفضل عليه بالاسعاف ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يدي الملك عمر النعمان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون قالت بلغني أيها الملك السعيد أن رسل ملك القسطنطينية قبلوا الارض بين يدي الملك عمر النعمان بعد أن حكوا له ثم أعلموه بالهدية وكانت الهدية خمسين جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكا عليهم أقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك في أذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تساوي ألف مثقال من الذهب والجواري كذلك وعليهم من القماش ما يساوي مالا جزيلا فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم وأمر باكرام الرسل وأقبل على وزرائه يشاورهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخا كبيرا يقال له دندان فقبل الارض بين يدي الملك عمر النعمان وقال أيها الملك ما في الامر أحسن من أنك تجهز عسكرا جرارا وتجعل قائدهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأي أحسن لوجهين الاول أن ملك الروم قد استجار بك وأرسل اليك هدية فقبلتها والوجه الثاني أن العدو لا يجسر على بلادنا فاذا منع عسكرك عن ملك الروم وهزم عدوه ينسب هذا الامر اليك ويشيع ذلك في سائر الاقطار والبلاد ولاسيما اذا وصل الخبر الى جزائر البحر وسمع بذلك أهل المغرب فانهم يحملون اليك الهدايا والتحف والاموال فلما سمع الملك هذا الكلام من وزيره دندان أعجبه واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغي أن تكون أنت في مقدم العسكر وولدي شركان في ساقة العسكر ثم ان الملك أمر باحضار ولده فلما حضر قص عليه القصة وأخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان وأوصاه بأخذ الاهبة والتجهز للسفر وأنه لا يخالف الوزير دندان فيما يشير به عليه وأمره أن ينتخب من عسكره عشرة آلاف فارس كاملين العدة صابرين على الشدة فامتثل شركان ما قاله والده عمر النعمان وقام في الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخل قصره وأخرج مالا عظيما وأنفق عليهم المال وقال لهم قد أمهلتكم ثلاثة أيام فقبلوا الارض بين يديه مطيعين لأمره ثم خرجوا من عنده وأخذوا في الاهبة واصلاح الشأن ثم ان شركان دخل خزائن السلاح وأخذ ما يحتاج اليه من العدد والسلاح ثم دخل الاصطبل واختار منه الخيل المسومة وأخذ غير ذلك وبعد ذلك أقاموا ثلاثة أيام ثم خرجت العساكر الى ظاهر المدينة وخرج عمر النعمان لوداع

ولده شركان فقبل الارض بين يديه وأهدى له سبع خزائن من المال وأقبل على الوزير دندان وأوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الارض بين يديه وأجابه بالسمع والطاعة وأقبل الملك على ولده شركان وأوصاه بمشاورة الوزير دندان فى سائر الامور فقبل ذلك ورجع والده الى أن دخل المدينة ثم ان شركان أمر كبار العسكر بعرضهم عليه وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير مايتبعهم ثم ان القوم حملوا ودقت الطبول وصاح النفير وانتشرت الاعلام والرايات وركب ابن الملك شركان والى جانبه وزيره دندان والاعلام تخفق على رؤسهم ولم يزالوا سائرين والرسل تقدمهم الى أن ولى النهار وأقبل الليل فنزلوا واستراحوا وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا سائرين والرسل يدلونهم على الطريق مدة عشرين يوما ثم أشرفوا فى اليوم الحادى والعشرين على واد واسع الجهات كثير الاشجار والنبات وكان وصولهم الى ذلك الوادى ليلا فأمرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلاثة أيام فنزل العساكر وضربوا الخيام وافترق العسكر يمينا وشمالا ونزل الوزير دندان وصحبته رسل أفريدون صاحب القسطنطينية فى وسط ذلك الوادى وأما الملك شركان فانه كان فى وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا فى جوانب الوادى ثم انه أرخى عنان جواده وأراد أن يكشف ذلك الوادى ويتولى الحرس بنفسه لاجل وصية والده اياه فانهم فى اول بلاد الروم وأرض العدو فسار وحده بعد أن أمر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان ثم انه لم يزل سائرا على ظهر جواده فى جوانب الوادى الى أن مضى من الليل ربعه فتعب وغلب عليه النوم فصار لا يقدر أن يركض الجواد وكان له عادة أنه ينام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم نام ولم يزل الجواد سائرا به الى نصف الليل فدخل به فى بعض الغابات وكانت تلك الغابة كثيرة الاشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره فى الارض فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار وقد طلع عليه القمر وأضاء فى الخافقين فاندهش شركان لما رأى نفسه فى ذلك المكان وقال كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة الا بالله فبينما هو كذلك خائف من الوحش متحير لا يدرى أين يتوجه فلما رأى القمر أشرف على مرج كأنه من مروج الجنة فسمع كلاما مليحا وصوتا عاليا وضحكا يسبى عقول الرجال فنزل الملك شركان عن جواده فى الاشجار ومشى حتى أشرف على نهر فرأى فيه الماء يجرى وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربى وهى تقول وحق المسيح ان هذا منكن غير مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشى الى جهة الصوت حتى انتهى الى طرف المكان ثم نظر فاذا بنهر يسيح وطيور تمرح وغزلان تسنح ووحوش ترتع والطيور بلغاتها المعانى الحظ تشرح وذلك المكان مزركش بأنواع النبات كما قيل فى أوصاف مثله هذان البيتان

ماتحسن الارض الا عند زهرتها * والماء من فوقها يجرى بارسال
صنع الاله العظيم الشان مقتدرا * معطى العطايا ومعطى كل مفضال

فنظر شركان الى ذلك المكان فرأى فيه ديرا ومن داخل الدير قلعة شاهقة فى الهواء فى ضوء القمر وفى وسطها نهر يجرى الماء منه الى تلك الرياض وهناك امرأة بين يديها عشر جوار كأنهن الاقمار وعليهن من أنواع الحلى والحلل مايدهش الابصار وكلهن أبكار بديعات

كما قيل فيهن هذه الابيات

يشرق المرج بما فيه من البيض العوالى
زاد حسنا وجمالا * من بديعات الخلال
كل هيفاء قواما * ذات غنج ودلال
راخيات لشعور * كعناقيد الدوالى
فاتنات بعيون * راميات بالنبال
مائسات قاتلات * لصناديد الرجال

فنظر شركان الى هؤلاء العشر جوار فوجد بينهن جارية كأنها البدر عند تمامه بحاجب مزجج وجبين أبلج وطرف أهدب وصدغ معقرب كاملة فى الذات والصفات كما قال الشاعر فى مثلها هذه الابيات

تزهو على بألحاظ بديعات * وقدها مخجل للسمهريات
تبدو الينا وخداها موردة * فيها من الظرف أنواع الملاحات
كأن طرتها فى نور طلعتها * ليل يلوح على صبح المسرات

فسمعها شركان وهى تقول للجوارى تقدموا حتى أصارعكم قبل أن يغيب القمر ويأتى الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم اليها فتصرعها فى الحال وتكتفها بزنارها فلم تزل تصارعهن وتصرعهن حتى صرعت الجميع ثم التفتت الى الجارية عجوز كانت بين يديها وقالت لها وهى كالمغضبة عليها يا فاجرة أتفرحين بصرعك للجوارى فها أنا عجوز وقد صرعتهن أربعين مرة فكيف تعجبين بنفسك ولكن ان كان لك قوة على مصارعتى فصارعينى فان أردت ذلك وقمت لمصارعتى أقوم لك وأجعل رأسك بين رجليك فتبسمت الجارية ظاهرا وقد امتلأت غيظا منها باطنا وقامت اليها وقالت لها ياسيدتى ذات الدواهى بحق المسيح أتصارعينى حقيقة أو تمزحين معى قالت لها بل أصارعك حقيقة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السابعة والاربعون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت لها أصارعك حقيقة قالت لها قومى للصراع ان كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها ذلك اغتاظت غيظا شديدا وقام شعر بدنها كأنه شعر قنفذ وقامت لها الجارية فقالت لها العجوز وحق المسيح لم أصارعك الا وأنا عريانة يا فاجرة ثم ان العجوز أخذت منديل حرير بعد أن فكت لباسها وأدخلت يديها تحت ثيابها ونزعتها من فوق جسدها ولمت المنديل وشدته فى وسطها فصارت كأنها عفريتة معطاء أو حية رقطاء ثم انحنت على الجارية وقالت لها افعلى كفعلى كل هذا وشركان ينظر اليهما ثم ان شركان صار يتأمل فى تشويه صورة العجوز ويضحك ثم ان العجوز لما فعلت ذلك قامت الجارية على مهل وأخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها فبان لها ساقان من المرمر وفوقهما كثيب من البلور ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من أعكانه كأنه مصفح بشقائق النعمان وصدر فيه نهدان كفحلى رمان ثم انحنت عليها العجوز وتماسكا ببعضهما فرفع شركان رأسه الى السماء ودعا الله أن الجارية تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها الشمال فى شقتها ويدها اليمين فى رقبتها مع حلقها ورفعتها

على يديها فانفلتت العجوز من يديها وأرادت الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاها
الى فوق فبانت شعرتها في القمر ثم ضرطت ضرطتين عفرت احداهما في الارض ودخنت
الاخرى في السماء فضحك شركان منهما حتى وقع على الارض ثم قام وسل حسامه والتفت
يمينا وشمالا فلم ير أحدا غير العجوز مرمية على ظهرها فقال في نفسه ما كذب من سماك ذات
الدواهي ثم تقرب منهما ليسمع ما يجري بينهما فأقبلت الجارية ورمت على العجوز ملاءة من
حرير رفيعة وألبستها ثيابها واعتذرت اليها وقالت لها يا سيدتي ذات الدواهي ما أردت
الا صرعك لا جميع ما حصل لك ولكن أنت انفلت من بين يدي فالحمد لله على السلامة فلم ترد
عليها جوابا وقامت تمشي من خجلها ولم تزل ماشية الى أن غابت عن البصر وصارت الجواري
مكتفات مرميات والجارية واقفة وحدها فقال شركان في نفسه لكل رزق سبب ما غلب علي
النوم وسار بي الجواد الى هذا المكان الا لبختي فلعل هذه الجارية وما معها تكون غنيمة لي
ثم ركب جواده ولكزه ففر به كالسهم اذا فر من القوس وبيده حسامه مجرد من غلافه ثم
صاح الله أكبر فلما رأته الجارية نهضت قائمة وحطت قدميها على جانب النهر وكان عرضه
ستة أذرع ووثبت فصارت على جانبه الآخر ثم قامت على رجليها ونادت برفيع صوتها من أنت
يا هذا انك قطعت سرورنا وحين جردت حسامك صرت كأنك قد حملت في عسكر من أين
أنت والى أين تذهب فاصدق في مقالك فان الصدق أنفع لك ولا تكذب فان الكذب من
أخلاق اللئام ولا شك أنك تهت في هذه الليلة عن الطريق حتى جئت الى هذا المكان الذي
خلاصك فيه أكبر الغنيمات واعلم أنك في مرج لو صرخنا فيه صرخة واحدة لجاء الينا أربعة
آلاف بطريق فقل لنا ما الذي تريد فان أردت أن نرشدك الى الطريق أرشدناك وان أردت
الرفد أرفدناك فلما سمع شركان كلامها قال لها أنا رجل غريب من المسلمين وقد سرت في هذه
الليلة منفردا بنفسي أطلب غنيمة أغتنمها فلم أجد غنيمة أحسن من هؤلاء الجواري العشرة
في هذه الليلة المقمرة فآخذهم وأرجع بهم الى أصحابي فقالت له الجارية اعلم أن الغنيمة
ما وصلت اليها والجواري والله ما هن غنيمتك أما قلت لك ان الكذب شين فقال لها ان السعيد
الذي يكتفي بالله عن غيره فقالت له وحق المسيح لولا اني أخاف أن يكون هلاكك على يدي
لكنت صحت صيحة ملأت عليك الارض خيلا ورجالا ولكن أنا أشفق على الغرباء وان أردت
الغنيمة فأنا أطلب منك أن تنزل عن جوادك وتحلف لي بدينك أنك لا تتقرب الي بشيء من
السلاح وأتصارع أنا وأنت فان صرعتني فضعني على جوادك وخذنا كلنا غنيمة وان صرعتك
أتحكم فيك فاحلف لي فاني أخاف من غدرك وقد ورد في الاخبار اذا كان الغدر طباعا فان
الثقة بكل أحد عجز فان حلفت لي عديت اليك وأتيتك وجئت عندك فطمع شركان في أخذها
وقال في نفسه انها لم تعرف أني بطل من الابطال ثم ناداها وقال لها حلفيني بما تثقين به اني
لا أقربك بشيء حتى تأخذي أهبتك وتقولي ادن مني لأصارعك فحينئذ أتقرب منك فان
صرعتني فان لي من المال ما أشتري به نفسي وان صرعتك أنا فهي الغنيمة الكبرى فقالت
الجارية أنا رضيت بذلك فتحير شركان في ذلك وقال وحق النبي صلى الله عليه وسلم رضيت

انا

أنا الآخر فقالت له احلف الآن بمن ركب الارواح فى الاجساد وشرع لنا الشرائع فحلف لها
بما وثقت به من الايمان فرضيت بذلك ثم انها وثبت فصارت فى الجانب الآخر من جانبى النهر
وقالت لشركان وهى تضحك يعز علىّ فراقك يا مولاى اذهب الى أصحابك قبل الصباح لئلا
تأتيك البطارقة فيأخذوك على أسنة الرماح وأنت ما فيك قوّة لدفع النسوان فكيف تدفع
الرجال الفرسان فتحير شركان فى نفسه وقال لها وقد ولت عنه معرضة تقصد الدير يا سيدتى
أتذهبين وتتركين المتيم الغريب المسكين الكسير القلب فالتفتت اليه وهى تضحك ثم قالت له
ما حاجتك فانى أجيب دعوتك فقال كيف أطأ أرضك وأتحلى بحلاوة لطفك وأرجع بلا
أكل من طعامك وقد صرت من بعض خدمك فقالت لا يأبى الكرامة الا لئيم تفضل بسم
الله على الرأس والعين واركب جوادك وسر على جانب النهر مقابلى فأنت فى ضيافتى ففرح
شركان وبادر الى جواده وركب ومازال ماشيا مقابلها وهى سائرة قبالته الى أن وصل الى جسر
معمول باخشاب من الحور وفيه بكر بسلاسل من البولاذ وعليها أقفال فى كلاليب فنظر
شركان الى ذلك الجسر واذا بالجوارى اللاتى كنّ معها فى المصارعة قائمات ينظرن اليها فلما
أقبلت عليهنّ كلمت جارية منهنّ بلسان الرومية وقالت لها قومى اليه وأمسكى عنان جواده ثم
سيرى به الى الدير فسار شركان وهى قدّامه الى أن عدّى الجسر وقد اندهش عقله مما رأى وقال
فى نفسه يا ليت الوزير دندان كان معى فى هذا المكان وتنظر عيناه الى تلك الجوارى الحسان ثم
التفت الى تلك الجارية وقال لها يا بديعة الجمال قد صار لى عليك الآن حرمتان حرمة الصحبة
وحرمة سيرى الى منزلك وقبول ضيافتك وقد صرت تحت حكمك وفى عهدك فلو أنك تنعمين على
بالمسير معى الى بلاد الاسلام وتتفرجين على كل أسد ضرغام وتعرفين من أنا فلما سمعت كلامه
اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندى ذا عقل ورأى ولكنى اطلعت الآن على
ما فى قلبك من الفساد وكيف يجوز لك أن تتكلم بكلمة تنسب فيها الى الخداع كيف أصنع هذا
وأنا أعلم متى حصلت عند ملككم عمر النعمان لا أخلص منه لانه ما فى قصوره مثلى ولو كان
صاحب بغداد وخراسان وبنى له اثنى عشر قصرا فى كل قصر ثلثمائة وستون جارية على عدد أيام
السنة والقصور عدد أشهر السنة وحصلت عنده ما تركنى لان اعتقادكم انه يحل لكم التمتع
بمثلى كما فى كتبكم حيث قيل فيها أو ما ملكت أيمانكم فكيف تكلمنى بهذا الكلام وأما
قولك وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح فانى رأيت عسكركم
لما استقبلتم أرضنا وبلادنا فى هذين اليومين فلما أقبلتم لم أر تربيتكم تربية ملوك وانما رأيتكم
طوائف مجتمعة وأما قولك تعرفين من أنا فأنا لا أصنع معك جميلا لاجل اجلالك وانما أفعل ذلك
لاجل الفخر ومثلك ما يقول لمثلى ذلك ولو كنت شركان بن الملك عمر النعمان الذى ظهر فى هذا
الزمان فقال شركان فى نفسه لعلها عرفت قدوم العساكر وعرفت عدّتهم وانهم عشرة آلاف
فارس وعرفت أن والدى أرسلهم معى لنصرة ملك القسطنطينية ثم قال شركان يا سيدتى
أقسمت عليك بما تعتقدين من دينك أن تحدثينى بسبب ذلك حتى يظهر لى الصدق من الكذب
ومن يكون عليه وبال ذلك فقالت له وحق دينى لولا انى خفت أن يشيع خبرى من انى من بنات
الروم لكنت خاطرت بنفسى وبارزت العشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان

وظفرت بفارسهم شركان وما كان على من ذلك عار ولكننى قرأت الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب ولست أصف لك نفسى بالشجاعة مع انك رأيت منى العلامة والصناعة والقوة فى الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك فى هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لأذعن واعترف بالعجز وانى أسأل المسيح أن يرميه بين يدى فى هذا الدير حتى أخرج له فى صفة الرجال وآسره وأجعله فى الاغلال * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه أخذته النخوة والحمية وغيرة الابطال وأراد أن يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنها فرط جمالها وبديع حسنها فأنشد هذا البيت

واذا المليح أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

ثم صعدت وهو فى أثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى أردافها تتلاطم كالامواج فى البحر الرجراج فأنشد هذه الابيات

فى وجهها شافع يمحو اساءتها * من القلوب وجيه حيثما شفعا
اذا تأملتها ناديت من عجب * البدر فى ليلة الاكمال قد طلعا
لو أن عفريت بلقيس يصارعها * مع فرط قوته فى ساعة صرعا

ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز طويل مقبى على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كاشتعال الشمس فلقيتها الجوارى فى آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص من أصناف الجواهر وسارت وهن أمامها وشركان وراءها الى أن وصلوا الى الدير فوجد بدائر ذلك الدير أسرة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وأرض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزع وفى وسطه بركة ماء عليها أربع وعشرون قارورة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين ورأى فى الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكى فقالت له الجارية اصعد يا مولاى على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت عنه فسأل عنها بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما أمرت ثم انها قدمت اليه من غرائب الألوان فأكل حتى اكتفى ثم بعد ذلك قدمت اليه طشتا وابريقا من الذهب فغسل يديه وخاطره مشغول بعسكره لكونه لا يعلم ما جرى لهم بعده ويتذكر أيضا كيف نسى وصية أبيه فصار متحيرا فى أمره نادما على ما فعل الى أن طلع الفجر وبان النهار وهو يتحسر على ما فعل وصار مستغرقا فى الفكر وأنشد هذه الابيات

لم أعدم الحزم ولكننى * دهيت فى الأمر فما حيلتى
لو كان من يكشف عنى الهوى * برئت من حولى ومن قوتى
وان قلبى فى ضلال الهوى * صب وأرجو الله فى شدتى

فلما فرغ من شعره رأى بهجة عظيمة قد أقبلت فنظر فاذا هو بأكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهى بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها ديباج ملوكى وفى وسطها زنار مرصع بانواع الجواهر وقد ضم خصرها وأبرز ردفها فصارا كأنهما كثيب بلور تحت قضيب

من



وظفرت بفارسهم شركان وما كان علىّ من ذلك عار ولكننى قرأت الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب ولست أصف لك نفسى بالشجاعة مع انك رأيت منى العلامة والصناعة والقوة فى الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك فى هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لأذعن واعترف بالعجز وانى أسأل المسيح أن يرميه بين يدىّ فى هذا الدير حتى أخرج له فى صفة الرجال وآسره وأجعله فى الاغلال * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه أخذته النخوة والحمية وغيرة الابطال وأراد أن يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن ردّه عنها فرط جمالها وبديع حسنها فأنشد هذا البيت

واذا المليح أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

ثم صعدت وهو فى أثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى أردافها تتلاطم كالامواج فى البحر الرجراج فأنشد هذه الابيات

فى وجهها شافع يمحو اساءتها * من القلوب وجيه حيثما شفعا
اذا تأمّلتها ناديت من عجب * البدر فى ليلة الاكمال قد طلعا
لو أن عفريت بلقيس يصارعها * مع فرط قوته فى ساعة صرعا

ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز طويل مقبىّ على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كاشتعال الشمس فلقيتها الجوارى فى آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهنّ العصائب المزركشة بالفصوص من أصناف الجواهر وسارت وهنّ أمامها وشركان وراءها الى أن وصلوا الى الدير فوجد بدائر ذلك الدير أسرّة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وأرض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزع وفى وسطه بركة ماء عليها أربع وعشرون قارورة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين ورأى فى الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكى فقالت له الجارية اصعد يا مولاى على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت عنه فسأل عنها بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما أمرت ثم انها قدمت اليه من غرائب الألوان فأكل حتى اكتفى ثم بعد ذلك قدمت اليه طشتا وابريقا من الذهب فغسل يديه وخاطره مشغول بعسكره لكونه لا يعلم ماجرى لهم بعده ويتذكر أيضا كيف نسى وصية أبيه فصار متحيرا فى أمره نادما على مافعل الى أن طلع الفجر وبان النهار وهو يتحسر على مافعل وصار مستغرقا فى الفكر وأنشد هذه الابيات

لم أعدم الحزم ولكننى * دهيت فى الأمر فما حيلتى
لو كان من يكشف عنى الهوى * برئت من حولى ومن قوّتى
وان قلبى فى ضلال الهوى * صبّ وأرجو الله فى شدّتى

فلما فرغ من شعره رأى بهجة عظيمة قد أقبلت فنظر فاذا هو بأكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهى بينهنّ كالبدر بين الكواكب وعليها ديباج ملوكى وفى وسطها زنار مرصع بانواع الجواهر وقد ضم خصرها وأبرز ردفها فصارا كأنهما كثيب بلور تحت قضيب